الأخلاق الغربية: رهانات وتحدّيات

نبيل سعو

جامعة الجزائر2

Résumé:

L’occident a connu une transformation éthique dangereuse suite à l’adoption de l’esprit scientifique qui reconnait les résultats et les réussites au profit de l’individu, ce dernier demeure dans un état d’étrangéité, portant atteinte à son humanité car l’homme est pris dans un processus de chosification après avoir céder à l’illusion du control de la matière, voire, la maitrise totale. Incontestablement, cet état dangereux que connait la société occidentale à l’égard de l’éthique à inciter de nombreux philosophes, sociologues et religieux à trouver des solutions afin de sortir de cet embarras, décrit par Roger Garody telle

« une catastrophe qui frappe l’occident », le philosophe et sociologue Gilles Lipovetsky constate que « l’occident actuel vit l’ère du vide ».

الملخص:

لقد عرف الغرب تحولا أخلاقيا خطيرا نتيجة تبنيه للروح العلمية التي لا تعترف إلا بالنتائج والنجاحات ولو على حساب الفرد، الذي أصبح يعيش في حالة من الاغتراب، وانتهاك إنسانيته لكونه أصبح يعامل معاملة الأشياء أي أنه قد أصبح مشيئا بعد أن كان يتوهم بأنه قد سيطر على المادة، بل وأنه قد تفوق عليها كليا. ومن دون شك فإن هذه الحالة الخطيرة التي يمر بها المجتمع الغربي خصوصا من الناحية الأخلاقية قد دفعت بالعديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وحتى رجال الدين إلى محاولة إيجاد حلول للخروج من هذا المأزق الذي عبر عنه "روجيه غارودي" بقوله: " إن الكارثة قد حلت بالغرب"، كما عبر عنها الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "جيل ليبوفيتسكي" بقوله: "بأن الغرب حاليا يعيش عصر الفراغ".

تقديم:

لقد أصبح الحديث عن الأخلاق اليوم، أكثر من ضرورة ملحّة وذلك نتيجة للتدهور الأخلاقي الذي آلت له الإنسانية، لدرجة أننالم نعد نعرفها إلا كاصطلاح، أما من الناحية الدلالية فقد أصبحت شبه غائبة، وهذا ما جعل أزمة هذا العصر تُوسم بأنها أزمة أخلاقية قيمية، ومما زاد من تفاقم خطورة هذا الوضع هو أنهذا النكوص الأخلاقي الرهيب لم يُعد يتوقف تأثيره على المستوى الفكري والتنظيري فقط، بل طالحتى المجال الحياتي، ليتمكن في الأخير من إحداث تغير لمعالم لإنسان الغربي الأصلية كطريقة تعامله مع الآخر الذي نجد بأنها تغيرت وتشيأت لدرجةأن أصبح سلوك الإنسانإزاء غيره سلوكااستهلاكيا مشابها لما يحدث في عالم الأشياء المادية. كما أن من سمات الإنسان المعاصر اللهث خلف الموضة وغيرها من التحولات التي تؤكد على التداعي الأخلاقي اليوم، ومثل هذا الوضع المتأزم حتم على الإنسان المعاصر التفكير في مخرج لهذا الوضع المتأزملعله يتمكن من مجابهة التطور التقنوعلمي الذي أبهره وجعله يحيد عن المعايير الأخلاقية،وهذا ما تعكسه محاولات العديد من المفكرين، والفلاسفة،والعلماءواهتمامهمبإصلاح هذا المسار المنحرف الذي آلت له الحضارة الغربية والتحديات التي تنتظرها مستقبلا جراء هذه الأزمة الأخلاقية.وبناءا على ما تقدم فالإشكالية التي يمكن أن نثيرها في هذا السياق تتمثل أساسًا في مايلي : ما مدى التوافق بين التقنية والقيم

الأخلاقية ؟ وهل تخدم التقنية البعد الأخلاقي أم تلغيه وتتجاوزه للتركيز على أبعاد أخرى تسيء وتشوه أخلاقية وإنسانية الإنسان المعاصر؟ وبعبارة أخرى: هل حقيقةً يوجد تكامل وتوازي بين التطور التكنولوجي العلمي و التطور الأخلاقي في المجتمعات الغربية خصوصا وأن هناك مؤشرات تنبؤ على أن تأخر التقدم الغربي راجع لبراديغم الفصل في العلوم وتصنيفها، وفصل الدين عن السياسة، وكذا بسببانبجاس النزعة الفردية من جديد بعد أن سعت الفلسفات القبلية لمحاربتها على غرار ما قام به "**جان جاك روسو**" وفلاسفة العقد الاجتماعي وغيرهم من الفلاسفة االذين ينادونبالحريات الجماعية ويُسخرون فلسفاتهم للتأكيد على مكانة الجماعة في مقابل الفردية.

غموض الحدث الأخلاقـي:

إن البحث في تطوّر الأخلاقالغربيةيقتضي الاهتمامبسياقتطورهانتيجة لتغير الفكري الإنسانيالذي عرف عدة تقلبات، كما يقتضي أيضا الاهتمام بالجانب المفاهيمي وتمييزها عن الحقول الدلالية القريبة منها والمتشابكة معها، الأمر الذي جعل الإحاطة بمفهومها صعبا، ومن بين المجالات القريبة منها نذكر: "القيم "،" والبيوإيتيقا"و"الإستطيقا ". ولهذا فمن أجل فك اللبس والغموض عن هذا الحدث المهمينبغي الانطلاق من القاعدة التي تنص على ضرورة تحديدالمفهوم لنتمكن من التمييز بين الأخلاق وكل من

الحقول المجاورة لها (القيم، والبيوإتيقا، والاستيطيقا). فما المقصود بكل منها؟

1.الأخلاق:الأخلاق في اللّغة العربية من جمع خُلق ومعناه الطبع، والسجية والعادة، حيث قال **ابن منظور**(630هـ-711هـ): "... اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، ولهذا نقول للذي ألف شيئًا أنّه يأتي يومًا يصبحه خلقًا"[1].وتُعرف الأخلاق من قبل مجمع اللغة العربية في المُعجم الوسيط على أنها: علم موضوعها الأحكام القيمية التي تتعلّق بالأعمال والتي تشمل في حكمها الإقرار بالحسن والقبح. كما أن للسلوك الأخلاقي تعريفًا أخر بحسب مجمع اللغة العربية وهو كل مايتفق مع قواعد الأخلاق المُوضوعة من قبل مجتمع ما، والتي تتمثل أساسًا في المُباحات المسموح بهاللمُمارسة في السلوكات اليومية للفرد[2].

إذا كانت التعريفات التي وُضعتللأخلاق متعدّدة ومتشعبة قديما، فمنأشهر التعريفات التي نجدها في الفترة المعاصرة للأخلاق تعريف **روني لوسين**(1882م-1954م)، حيث يرى أنّها مجموع متفاوت النسق من التحديدات المثالية، والقواعد والغايات التي يجب على الأنا أن يحقّقها

---

[1] عبد الستار نصار: **دراسات في فلسفة الأخلاق**، ط1، جامعة الكويت، دار القلم، 1982م، ص ص15،16

[2] فايزة أنور أحمد شكري: **القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2002، ص 82

بالفعل في الوجود حتّى يزداد هذا الوجود قيمة، وتبعًا لذلك فالأخلاق تعبّر عن التخلق بطريقة عقلية، ومن جهة الأخرى فالأخلاقية هي مسؤولية الأنا بالفعل تجاه القيمة من حيث هي تشمل فعل محدّدًا.وأما بخصوصالعلاقة الجدلية للذات بالقيمة والأخلاق فيرى "لوسين" أنه لمن مهام الأخلاق تحديد السلوك الإنساني بشرط أن نفهم من هذا التحديد الطريقة التي تتحدّد بها، والتحديد المقتضى من الذات بوصفها محدّدا للقيمة[3].وهذا ما يعني أن الأخلاق و الذات في نسيج متناسق يصعب علينا الفصل فيه.

وللأخلاق عدة فروع منها "**الميتاأخلاق**" "**Métamorale**" التي تهتم بمُقابلة المبادئ والأسس الأخلاقية، بالقواعد الأخلاقية المُطابقة لمبادئها، وكذا التُحفيز على العمل أخلاقيًا عن طريق الثناء والمدح، ويرجع الفضل في تأسيس هذا الفرع للفيلسوف الفرنسي "**ليفي برول**"(**1857م – 1939م**)الذي وضع هذا الاصطلاح بداية ليصبح فيما بعد شائع التداول في أوساط المجتمعالغربي[4].

إن من خلال البحث في مجالالأخلاق يتبين لنا أنهاحيث من حيث طبيعة تكوينها تنقسم إلى شقين:

---

[3] عبد الرحمن بدوي: **الأخلاق النّظرية**، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت،1976،ص 08

[4] المرجع نفسه، ص ص8، 9

– **الشق النّظري:** تنحصر وظيفته في البحث في ماهية الخير والشر والفضيلة والرّذيلة، والإرادة والمسؤولية، والإلزام والالتزام.

–**الشق العملي:** وتتمثل وظيفته فيالسعي لتطبيق مُحتوى الجانب النظري والاستجابة لقوانينه، وفيه يتم الاهتمام بتشجيعوتنمية روح المبادرة للقيام بالأعمال الحميدة[5].

وإذا كانت الأخلاق في شكلها العام لا تنفصل عن القيم فهذا ما سيفرض علينا تحديد مفهوم هذه الأخيرة لكي يتسنى لنا التمييز بينهما.

2– القيم: إنالبحث في مجال القيم نجده حاضر في تفكير الفلاسفة قديما و حديثا ولقد عرف مصطلح "القيم" في مساره تحولات عدة ، و يعود هذا المصطلح في اشتقاقاته الأولىإلى الأصول اللاتينية إذ يأخذ فيها صيغة **(Vales)**، والذي يعني في الأصل" أنا قوّي "، أو " أنا في صحة جيّدة "، وهو ما يدل على معنى المقاومة والصّلابة وعدم الخضوع للتأثيرات التي تؤدي في الأخير للتخلّي عن القيم الأخلاقية التي تُعد أساس الوجود الإنساني، و يدل أيضا عن القدرة في التأثير على الأشياء

---

[5]عادل العوا. **القيمة الأخلاقية**، الشركة العربية للصّحافة، دمشق، 1965، ص ص(15،16).

وترك بصمات قوّية عليها [6]ومن معاني القيمة في اللغة العربيةأنها تدّل على القدر، فقيمة الشيء من قدره، وقيمة المتاع ثمنه. وقيل قيمة المرء ما يحسّنه في سلوكه والذي به سيرفع من شأنه في مجتمع ما.[7] ومن مميزات القيمة أنّها مرتبطة اشد الارتباط بالواقع الذي تعبّر عنه بصورتها القائمة على أساس الوصف والتقدير الذاتي الناتج عن قيمة الشيء ذاته[8]ولعل معناها هذا نجده قريب الصلة لما يعنيه مصطلح القيمة باللغة الفرنسية "القيمة"(**Valeur**) .كما أن ما هو مُلاحظأن القيم لم تكتف بمجالها الخاصوبقواعدها المجردة بل نجدها قد امتدت حتىللإنسانإذ أصبحت هي من يحدّد له اتجاهاته وسلوكاته وتعيّن له بنياته. وإن كان هناك إجماع على تعدد وظائف القيمفانه لا يوجد إجماع على تعريفواحد لها، وهذا ما نلمسه من خلال تعدد واختلاف التعريفات التي توضع لها، ولكن بالرغم من ذلك إلا انه لا مانع من أن نجد لها تعريفا عاما يلخصها وهو: " تعتبر القيمة القاعدة الأساسية التي ترافق عملنا، كما أنّ من سماتها أنّها لا

---

[6]مصطفى عبده: **مدخل إلى فلسفة الجمال**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص ص(29،30).

[7] محمد الهواري: مقال منشور تحت عنوان **الأخلاق الحياتية**، جويلية 1998، في شبكة الانترنيت تحت تشفير www.alraid.de

[8]جاكلين روس: **الفكر الأخلاقي المعاصر**، ترجمة: عادل العوا، ط1، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2001، ص 11.

تخضع لأيّ سلطة خارجية مهما كانت، فلا العقل ولا التقليد الاجتماعي أو النّظام الديني بإمكانهم أن يقلصوا من مجالها أو أن يُنقصوا من لمعانها، فالقيمة شرط أساسي للوجود بأسره، رغم أنّها ليست بذاتها وجودًا،ولها أشكال مختلفة سوءا كانت تأمل لتحقيق أهدافمعينة أو تحقيق توافق، ولكنهالا تحدّد بماهية الطرح الحالي أو لحظة تحقّقها"[9].

3.البيوإيتيقا أو "الأخلاق الحياتية": ترجع الجذور التاريخية لهذا المصطلح إلى المرحلة الإغريقية"**Bios**" والذي يعني من حيث اشتقاقه اللّغوي الحياة، ومن مهامالأخلاق في هذه الصيغة من حيث اقترانها بالحياةأنهاتدّل على التفكير في القيم الخاضعة للحياة، وأما فيما يخص فرع"ما وراء الأخلاق"فإنها تعني في صيغتها الجديدة علمأخلاقيات الحياة والطّب. و لقد ظهر تداول هذا المصطلح بداية أثناء محاكمة جرائم الحرب في **نورنبرغ** عام 1947م ،حينما تم إخضاع بعض الأطباء النازيين للمحاكمة استنادًا إلى مبادئ حقوق الإنسان التي تبنّتها هيئة الأمم المتحدة سنة 1945م،حيث من تلك الفترة بالضبط أصبح الطبّ في الغرب يُخضع

---

[9] محمّد عبد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، ط1، حزيران، بيروت 1997، ص34.

للرّقابة من طرف سلطات وبنود لا يجوز له اختراقها طبيا [10].وهذا ما أدّى بشكل مباشر إلى ظهور ما يُعرفبأخلاقيات الطبّ ، ويعود تسمية هذا المجال و تحديده إلى العالم"ز. **بوتر**" مكتشف داء السرطان، و تدّل عنده أخلاقيات الطبّ على مشروع استخدام البيولوجيا لتحسين صفات الحياة، ومن بين البلدان الأولى في العالم التّي رحبت بهذا المجال وشجعت على الاهتمام به الولايات المتحدّة الأمريكية[11].

4.الإستطيـقا:يُعتبر "**ألكسندر بومغارتن**" (1714م-1762م) أوّل من وضع الأساس النّظري لهذا العلم،والذي يقابله في اللغة الفرنسية مصطلح(**Esthétique**)بمعنى فلسفة الجميل، فعلم الجمال عنده يبرز ويتضح من خلال الهرمونية الموجودة في الأشياء، وفي جزئياتها وكلياتها كدلالة واضحة على الرائع.كما يرى بأنههو العلم الذييركز أساسا على دراسة انفعالات الإنسان ومشاعره المحيطة به شرط أن لا يتوخى من وراء

---

[10] فايزة أنور أحمد شكري: **القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم**، مرجع سابق، ص ص(19،20).

[11] إبراهيم مذكور و آخرون: **مجمّع اللّغة العربيةالمعجم الوسيط**، ج2، ط3، 1985، ص798.

دراسته منفعة ما...[12] ولكن في ظل التشابكات القائمة بين مختلف المجالات والعلوم، وتوجه العلم للسيطرة على حياة الفرد بدل خدمتها فقد أصبح الإنسان الغربي يعاني من القلق والاغتراب،ولهذا فقد تعددت جهود المفكرين والفلاسفة والعلماء من اجل إيجاد علاج لهذا الوضعالمتدهور الذي آلت إليه المجتمعات الغربية والإنسان الغربي ، وهو ما يعكسهعودة سؤال الأخلاق للواجهة ، والاهتمام به من خلال تخصيص العديد من الحوارات والملتقيات لتحديد أسباب تراجع التيار القيمي الأخلاقي، ومحاولة إيجاد المخرج أو المخارج الملائمة لهذا المأزق الأخلاقي .ولكن الحديث عن مخرج لهذا المشكل الأخلاقي لا يتأتى دون الحديث عن مسبباته ولهذا نتساءل بداية:**ماهي مسوغات النكوص الأخلاقي الغربي الرهيب الذي بات يهدد إنسانية الإنسان ؟**

عوامل انحراف الحدث الأخلاقي:

1.الثورة البيولوجية: واكبت هذه الثورة مشارف القرن 21م فأسفرت على وضعية جديدة مليئة بالإحراجات الأخلاقية، إذ أخذ التّحدي العلمي يزداد ويتفاقم على المستوى التطبيقي ولو على حساب الضمير الأخلاقي، وهو ما دفع بالعديد من الفلاسفة والمفكرين، وحتى بعض

[12] الهويدي يحي: **مقدمة في الفلسفة العامّة**، ط5، دار النهضة، القاهرة، 1968، ص273.

السّاسة،والحقوقيين للتنديد بتجاوزات العلم الذي تواطأ مع التقنية، ومساءلة الثورة البيولوجية وانجازاتها استنادا إلى المعيارالأخلاقي واسترجعت بذلك مكانتها لأنها رهان يُعول عليه لمواجهة تحديات العصر [13].إن الغاية من الحرص على عودة الناظم الأخلاقي هو توجيه العلم لخدمة الإنسان وإنسانيته، ذلك أن للعلم سلبيات لا ينبغي إغفالهاولكن له ايجابيات لا يمكن إنكارها وهذا ما يظهر في القول التالي:" إنّ في اللحظة التي سيطرنا فيها على عالمنا الفيزيائي، إذ تعلمنا فيه كيف نتحكم في عالمنا البيولوجي، فمثلما نضع أطفال الأنابيب ونُغيّر تركيبنا الوراثي، ونخترع أعضاء صناعية لأجسادنا ونُحوّل عقولنا، ونُطيل أعمارنا، وربّما سنكتشف يومًابأنّنا سنستطيع تخليق الحياة نفسها"، فالثورة البيولوجية لم تعد تغيّر فقط من ذواتنا الفيزيولوجية ، وإنّما أصبحت تؤثر فيسلوكينا، وتأثر أيضا حتى على صيغة تفكيرناتُجاه أنفسنا والآخرين "[14]،خصوصا بقيامها بعلاقات متداخلة مع فروع أخرى مجاورة لها تدخل في نفس السياق المكون لها، على غرار:علم المناخ الحيوي(Bioclimatologie)،الكيمياء الحيويّة (Biochimie)، الفيزياء الحيوّية (Biophysique)، الجغرافيا

---

[13] عادلالعوا: **القيمة الأخلاقية**، مرجع سابق، ص ص (37–39).

[14] ناهدة البقصمي: **الهندسةالوراثية**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1993، ص 65.

الحيوية (Biogéographie)، البيولوجيا الجزئية (Biologie Moléculaire)، علم الأجنّة (Embryologie)، علم الخلايا (Cytologie)، البيولوجيا الطبّية (Biologie Médical)، الهندسة الوراثية (Génétique Engineering)، ومن أهم الفروع التيأثرناها في هذا البحث و التي تُعتبر في غاية الأهمية نذكر:

1.علم الأجنّة:يهتم هذا العلم بدراسة تركيب وتطوّر الكائن الحيّ من مرحلة التلقيح إلى لحظة الولادة،أي أنه يهتم بترّقب الكائن في المرحلة الجنينية لمعرفة ما يتطلبه من لُقاحات تقدم للمرأة الحامل.ومن وظائفهذا العلمهو أنّه يهتمبالصّعوبات التي تواجه عملية الحمل لإيجاد العلاج المناسب للجنين في هذه المرحلة الصّعبة والحسّاسة،وهذا ما توصل إليه العلم بفضل التطورالتكنولوجي حيث أنه أصبح باستطاعتنا الآن التعرف مثلا: على جنس الجنين (ذكر أم أنثى)،كما تم التوصللبعضالحلول المتعلقة بمشكلةالعقم باستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة.[15]ورغم ايجابيات هذا العلم إلا أن التقنيات المستخدمة فيه أثارت جدلا أخلاقيامثل:

أ/- **التلقيح الصّناعي**: ينظر الأطباء إلى هذه الظاهرة على أنّها مشكلة اجتماعية وأخلاقية وقانونية أكثر منها إنجازًا ضخمًا للعلم

---

[15] المرجع نفسه، ص 83.

والتكنولوجيا المعاصرة، وللتلقيح أشكال وصورمتعددة، ويمكن أن تقسم من حيث وظيفتها إلى ثلاثة:

أوّلاً: تقنين التلقيح.

ثانيا: الأم بالوكالة.

ثالثا: أطفال الأنابيب.

وإذا كان التأمل السطحي للحدث ينبئ في جوهره على التطوّر التكنولوجي ، فإنّ نظرة المختصّين والمُهتمّين بالشأن الأخلاقي قلقة نظرا لما تثيره هذه التقنيات من وضعيات محرجة على غرار شعور كل من الزوج والزوجة بالاغتراب تجاه المولود الجديد الذي يُنتظر قدومه ، إذ أنه في حال تلقيح الزوجة بنطفة من متبرعسيفقد الأب إحساسه بالأبوة،ويصبح الابن الذي يتحصل عليه بالتقنية شهادة دالة على عجزه عن الإنجاب، ومن المشاكل الأخرى التي يمكن أن تنجر عن هذه العلاقة أحقية الطفل في البحث عن والده الحقيقي[16]، وهذا من شأنه أن يولد اختلافات وانقسامات عدة في أوساطالأسر الاجتماعية قد تصل حتى للقضاء.وهذه

---

[16] محمود أحمد صبحي وحمودزيدان فهمي م: **في فلسفة الطّب**، دط، دار النهضة العربية، لبنان،1993، ص 152.

الإشكاليات هي التي جعلت من التلقيح الاصطناعي مدار جدل وإن قنن له في العديد من الدول.

ب/-الإنجاب الاصطناعي:تتسّم هذه التقنية بالقدرة على معالجة أشكال كثيرة من العقم عن طريق التقنيات الجديدة للتلقيح والإخصاب الاصطناعي فيالمخبر أي خارج رحم المرأة، ثمّ يتمّ بعد ذلك نقل الجنين إلى رحم أم أخرى ليست بالضرورة أمّه الأصلية تسمى هذه الأم بالحاملة أو البديلة، ويسمّى الأطفال الذين يولدون بهذه الطريقة"بأطفال الأنابيب "[17].

ج/-الوراثة والبيولوجيا المعاصرة: تكمن وظيفة الوراثة في البيولوجيا المعاصرة في دراسة قوانين الوراثة، والطرق التي يتم فيها توريث الكائنات الحيّة بحسبالخصائص الوراثية المتوافقة مع سلالتها. ويعود ظهور هذا العلم إلى الفترة المعاصرة علما أن مصطلح الوراثة عرف تطوّرات متعددة وصولا إلى ما يُعرف " بالهندسة الوراثية "،والتي تكمن مهمتهافي البحث عن الوحدات الأوّلية المكوّنة للخلايا المسؤولة عن الحفاظ على الخصائص والصّفات الوراثية، وإعادة إنتاجها، ويطلق على تلك الوحدات اسم المورثات **(Gênés)**، أمّا المكوّن الأساسي لها فيسمى الحامض

---

[17]عبد الرّزاق الداوي: **حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة**، الدار البيضاء، شرطة توزيع المدارس، 2004، ص ص (53-54).

الصبغي النّووي "**ADN**"، ويهدف علماء الهندسة الوراثية من خلال عملهم هذا إلى التمكن من إعادة تنظيم الطاقم الوراثي للإنسان وذلك إمّا لتلبية غايات طبيّة علاجية، وإمّا للحصول على كائنات حيّة بالمواصفات التي يتطلعون إليها[18]،ومن خلال هذه التجارب الناجحة قد أصبح مؤخرابإمكان المرأة الأمريكية أو الأوربية أن تذهب إلى أحد بنوك البذور الإنجابية لتختار حيوانًا منويًا يستخدم في إخصاب بويضتها حتى تتحصل في أخر المطاف على الطفل الذي تريده وبالمواصفات التي تريدها، وبإمكان أيضا الزوجين غير القادرين على الإنجاب أن يتوجها إلى هذه البنوك قصد الحصول على بويضة امرأة، أو نزع نواة بويضة وإدخال مادة وراثية محلّهما وتلقيحها مع نطفة متبرع، ويحتفظ بالجنين الناتج إلى أنيصبحقابلا لأن يُزرعفي رحم امرأة أخرى لتحمل به[19].

2. الموت الرّحيم"L'euthanasie" : تعودالجذور والاشتقاقات الأولى لهذا المصطلحإلى اليونان، وينقسممن حيث بنيته إلى قسمين:**(Eu)**والتي تعني الموت،**"تنازيا"(Thanasie)** وتعني الرّفق والرّحمة ، والعبارة ككل

---

[18]عبد الرّزاق الداوي: **حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة**، المرجع السابق، ص 60.

[19]محمد فتحي: **نسخة منك دون أن تدري**، ط1، دار اللطائف للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص08.

تعني الموت الرّحيم.وإنّ الاهتمام بالمصطلح ليس بالشيء الجديد، ففي القرن 19م مثلا كانت" **أوتنازيا** " تدّل على العناية الخاصّة بالمرضى في اللّحظات الأخيرة من حياتهم، والاقتصارعلى تقديم الأدوية المهدئة لهم والتي من شأنها أن تخففمنألمهم، وذلك لتفادي كل علاج مضني وغير مفيد، بينمّا في نهاية القرن 19م فقدعرف هذا المصطلح قفزة نوعية إذ أصبح يعني الفعل الواعي والإرادي الذي يمكن أن يقوم به الطبيب نفسه أو أحد معاونيه لمساعدة مريض أو ميؤوس من علاجه على وضع نهاية لحياته الأليمة[20].

ونظرًا لتوّسع مجال سيطرة التقنية والتكنولوجيا على الإنسان المعاصر فقدأصبح شبيهابالسلعة،وقابلا للتبادل مثله مثل باقيالسلع الأخرى المتواجدة في السوق[21]،ولقدتفطن لهذا الوضع المتأزم العديد من الفلاسفة والمفكرين ومنهم:"يورغنهابر ماس"(**1929م-**) يُقربأنّ من العلم المعاصر لهمن الإيجابيات ما لا يمكن إجحافه أوإنكاره، إلا أنالإشكالالمطروح هو كيفيكمن لناالتحكم في التقنية والعلم اللذان بسطا سيطرتهما على الإنسان

---

[20]عبد الرّزاق الداوي: **حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة**، مرجع سابق، ص ص (56-57).

[21]DominiqueLecour: **A quoi sert donc la philosophie**, (Presse 21, Universitaire de France, 1993), p 70.

الغربي،وافقدوهإنسانيته، وقضوا علىعلاقاته الاجتماعية من خلالتفكيكه للرّوابط المقدسّة، خصوصا مع إسهاماتالثورة البيولوجية التي شاركت في الإخلالبسلم القيم والأخلاق وافراغهما من محتواهما، وأبعدت الإنسان عن ما كان ينشده سابقا وهو أن يكون متخلقا، وإذا كانت انعكاسات هذه الأزمة واضحة، فماهي مسوغات انحراف العلم والطّب بالتواطؤ مع التكنولوجيا عنالمسار الأخلاقي في الفترة المعاصرة؟ إنأهم مسوغات هذا الانحراف يتمثل في سيطرة الوضعية العلمية على الطّب المعاصر حيث طغت الروح العلمية على القيم الإنسانية ،وهذا ما دفعببعض المفكرين ليتوقعوا نهاية الطبوالطبيب نتيجة غياب أخلاق المهنة،ونهاية المرضى لأنّهم في الفترة المعاصرة لا يُعترف بهم كأشخاصً، بل كمجرد مجموعة من الأعضاء القابلة للبيع كقطع منفصلة وهذا ما يعبر عنهبالسوق العضوية التي يتم فيها المتاجرة بالأعضاء[22].

ونظرًا لخطورة الوضع وتفاقمه فقد عمد كبار علماء الطّب والمفكرين والفلاسفةللتنديد في أكثر من مناسبة من خلال خطاباتهم التي تتصعلى ضرورة العودة للأخلاق والتأسيس لما بات يُعرف بأخلاقيات الطب، التي تخص الطبيب والمريض وعلاقتهما ببعضهما البعض، وإن كان هذا

---

[22] عبد الرّزاق الداوي: **حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة**، مرجع سابق، ص ص (56-57).

المجال جديدا فمن دون شك انه مشروع يحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة من بينها:

– ما هي طبيعة العلاقة التيتجمع كلا من الطبيب والمريض؟

–وما هي الرّعاية الصّحية الواجب على الطبيب أن يقدّمها لمريضه؟

– وما هي المسؤولية الأخلاقية التي يجب على الطبيب أن يلتزمبها عند أداءه لوظيفته؟[23]وفيالأخير هل من حق الطبيب ممارسة و تطبيق القتل الرحيملمريضه الميؤوس من وضعه؟وهل من حق المريض معرفة كل ما يتعلق بحالته الصحية أم لا؟ و لعل الإجابة على مثل هذه التساؤلات بقيت على طاولة النقاشلفترة طويلة نتيجة الجدل الذي أُثير والذي افرز بدوره عن مؤيدين ومعارضين، إذ هناك منالأطباء منيصّرون على قول الحقيقة كاملةلمرضاهم، وهناك من يمتنعون عن ذلك،وفي ظلتصاعد النقاش حول هذه الإشكاليةفقد ظهرت هناك فئة ثالثة ترى بأن المصادقة على الموت الرحيم تبقى محتشمة إذ يسمح بها في الحالات المستعصية مثل : دخول المريض في غيبوبة تّامة،أو للمرضى الذين لا يمكن معالجتهم مثل: طفل بلا أطراف، وبلا بصر، وبلا سمع ... ،وحالات السرطان المستعصية والمتقدمة التي يقف الطّب المعاصر عاجزًا أمامها. وبالرّغم من عدم

[23] محمود أحمد صبحي ومحمود زيدان فهمي: مرجع سابق، ص 55.

الحسم في الحالات التي يتم فيها تنفيذ حكم الموت الرحيم وتطبيقه على المرضى الذين يعانون إلا أن الإشكال الآخر الذي يلوح في الأفق ويخلق إحراجا حقيقيا مسوغهالمرضىالذين يختلفون حول تقبلمعرفة حقيقة مرضهم بكلّ شجاعة، وبين منيصيبهم ذلك بالدهشة والذهول واليأس، كما أن هناك من المرضىمن يتقبلون وضعهم ويطلبون الموت الرحيمللتخلص من عذابهم ، ومنهم منلا يتقبلون وضعهم ويتحول سلوكهم إلى سلوك عدواني عند معرفة حقيقة وضعهم الصحي،وهذا ما جعل علماء الطب المعاصرين يتفقون حول نقطة وجوب إطلاع المريض على حالته الصحيةولكن بالتدرّج، من خلال مرافقة الطبيب للمريض يوميا، والإجابة عن أسئلته بكل رفق وعطف.أما عن حكم الإماتةبالشفقة فإنه لا يجب أننطبق هذا الحكم عمليا إلاَّ بموافقة المريض، أو عائلته أو بقرار من الأطباء المعالجين والمتابعين لحالته[24].

وفي الحقيقة إن قضية **الموت الرحيم** لم تكن محل اهتمام الأطباء والمفكرين والفلاسفة فقط بل كانت محل جدل ديني أيضا ، ويرجع الاهتمام الكنسي بها إلى نهاية الأربعينيات من القرن إذ ألقى البابا

---

[24] المرجع نفسه، ص ص(154،155).

"**بيوس الثاني عشر**" ثلاثة خطب مهمّة من (1949م-1956م)،الأولى في المؤتمر العالمي الرّابع للأطباء الكاثوليك في29 سبتمبر1949م ، والثانية في مجلس الاتحاد الإيطالي للقابلات في 26 نوفمبر 1951م، وأمّا الخطبة الثالثة والأخيرة ألقاها في المجلس العلمي الثاني للإخصاب والعقم في 19 مايو 1956م،ولقد انتهت هذه الملتقيات الثلاثة بقرار منع الإخصاب الصنّاعي بأشكاله،ومسوغات هذا القرار عديدة نذكر منها:

1. الإخصاب الاصطناعي الذي يتم بمنأى عن الاتصّال الجنسي الطبيعي يحول المنزل العائلي إلى مجرّد مختبر بيولوجي.
2. الإخصاب الاصطناعي يخالف الغاية الإلهية من الزواج (يقضي على قدسية العلاقة الزوجية).
3. يعبر في جوهره عن سلوك غير أخلاقي.

وتعترض الكنيسة فكرة " الموت المريح "، لأن الآجال بيد الخالق لوحده، كما تعترض الطريق في وجه الإجهاض لأنه تعتبره وجه من أوجهالقتل العمدي الذي يستوجب جانيه المعاقبة من خالقه[25].وإنالنقاش الديني حوله يوجد في الديانة اليهودية وكذا الإسلامية ولا يقتصر على المسيحية فقط، وما يمكن قوله هو أن كل الديانات الثلاث لا تتفق حول الموت الرحيم إلا في حالات خاصة مؤخرا.

---

[25] ناهدة البقصمي: **الهندسة الوراثية**، مرجع سابق، ص 164.

موقف بعض الفلاسفة من أزمة الأخلاق المعاصرة:

يرى الفيلسوف الألماني "**مارتن هيدغر**" (1889م-1976م) في كتابه " خطاب عن الإنسانية " أنّ سبب تشرّد الإنسان المعاصر يرجع أساسًا إلى تناسي العلاقة التي تربطه بالوجود ، ولوحشة الوجود إليه، وكلّ هذا حدث نتيجة تكامل الفلسفة في فترتها الراهنةوالتي أصبحت تعبر في محتواها عن أشكال الميتافيزيقا، في الوقت الذي استقطب العلم المعاصر اهتمام المجتمعات المعاصرة[26].

أماالفيلسوفالألماني"**تيودورأدورنو**" (1903م-1969م)يرى آن الحضارة الغربية محدقة بالخطر و هذا ما ينبئ بالعواقب الوخيمة التي قد تنجر مستقبلاً عن هذه الأزمة،في ظل توسع التقنية وبسط سيطرتها الرهيبةعلى كل المجالات ، وتعدي العلم على إنسانية الإنسان وأخلاقياته ، وهو ما يستدعي النّظر الجاد في إشكاليات العصر خصوصًا الأخلاقية، لربما يتم التوصل إلى حل ومخرج من خلال اللُجوء إلى الفن والصور الجمالية، لأنّ لها مقدرة على تجديد طاقات الإنسان الإبداعية[27].

---

[26] فرانز شنيدرس: **الفلسفة الألمانية في القرن العشرين**، ترجمة: محسن الدمرد، ط1، المجلس الأعلى، القاهرة ،2005، ص ص(93-95).

[27] المرجع نفسه، ص 114.

وإذا كان هذا موقف بعض فلاسفة ألمانيا، فإننا لا نجد اختلافا كبيرا عند فلاسفة انجلترا ، فقد ثار هؤلاء أيضا علىالوضع الراهن الذي آلت إليه الأخلاق ، إذ نجد على سبيل الذكر "**برتراند راسل**" (1872م-1970م)يشخص مشكلة الفترة المعاصرة بأنها لا تكمن في التغلّب على قوى الطبيعة وتسخيرها للمنفعة، وتأمين محّل الإنسان في الوجود، لأنّ الإنسان في القرن 20م قد قطع أشواطًا من التقدّم الهائل على المستوى المعيشي ...ولكن المشكلة تتعلق بكيفية استفادة الإنسان المعاصر من السيطرة على الطبيعة، لأنّ ازدياد مهارة البشر في استغلال الموارد الطبيعية لا يضمن زيادة في سعادة الجنس البشري أو رفاهيته، وإنّما على العكس من ذلك يؤدي إلى تعاسته ودمار حضارته[28].

وإن مبدأ النقد الذي انتشر في مُعظم دول أوروبا قد طالفرنسا ومن بين الفلاسفة الفرنسيين نجد"**فلادمير جانكليفيتش**" (1903م-1985م) و الذي دعو إلى العودة للأخلاق الكانطية وما تتضمنه من أخلاق الفضيلة

[28] وود ألان و برتراند راسل: **دراسة في تطوّر فلسفته**، ترجمة : سمير عبده، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1994، ص ص(65-68).

والواجب، والالتزام،ذلك أنّ مجمّل هذه الأفكار قائمة في جوهرها على النقاء والإصغاء لصوت الواجب[29].

استنتاجات وبعض الحلول المُقترحة:

1- المذهب الأنطولوجي: يرى ممثله الشرعي "**مارتين هيدغر**" بأن هذه الفترة التي ازداد فيهاالاهتمام بالأداة قد تغاضت وأغفلت جانبا مُهمًا وهو استدراك إنسانية الإنسان واسترجاعها له، لكي يصبح العلم المعاصر مسخرا لخدمة البشر وليس العكس.

2- المذهب الوجودي: يشخص زعيم الوجودية "**جان بول سارتر**" أزمة العصر في أزمة الحريات، إذ يرى بأن من الحلول المُقترحة لتفادي تفاقم خطورة أزماته هوأن نُرجع للإنسان مكانته، باعتباره كائن ماهيته لم تتحدد بعد بحكم كونه محكوم عليه بالحرية.

---

[29] عمر مهيبل: **الخطاب الجديد في فرنسا**، مجلة سداسية تصدر عن معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، العدد 6، 1996، ص ص(107-108).

3- النظرية التواصلية: يدلي"**يورغن هابرماس**" بأن إمكانية الحل للأزمة التي تعاني منها المجتمعات الغربية ممكنة التجسد من خلالالأخذ بمنهج "**إيتيقا المناقشة**"وممارستها في الفضاء العمومي، و هذا من شأنه أن يوسع من دائرة امتداد الخطابات ليعطي لها شمولية أكثرولتتجسد في الفضاء العمومي.وعلى الرغم من الأذان الصاغية التي استقطبتها النظرية التواصلية في الغرب إلا أنتلميذ هابرماس "**أكسل هونيث**" قد أبدى نوعا من الاجتهاد من أجل إكمال نظرية أستاذه "**التواصلية**" بإقحامه عامل "**الاعتراف**" الذي يرى فيه أنه شرط جد مهم لتجسد التواصلية في أحسن صورة في الواقع، وذلكمن خلال تحقق "**البين ذاتية الاعترافية**" **l'intersubjectivité Reconnaissante**" بين الذوات التي تتشارك معًا في فضائها العمومي.

الاستنتاج العام للبحث:

إن من سمات علاقة الأخلاق المعاصرة بالتطور العلمي التكنولوجي أنه يجمعهما الحوار والتواصل والاعتراف، وهذا ما أقره "**يورغن هابرماس**" من خلال قوله بضرورة اجتماع رجال الدين والكنيسة مع رجال العلم في طاولة واحدة قصد إقامة حوار منفتح خال من أي تعصب، حتى يتسنى لهم في الأخير بأن يتوصلوا إلى أرضية مُشتركة والتي من شأنهاأن ترضي كلا الطرفين، كماأن الأخلاق يجب أن تظل حاضرة بقوة في كل الفترات

لكونها معيارا ناظما للمجتمع والإنسان في ذاته وفي كافة ممارساته. فالعلاقة بين الأخلاق والعلم والتكنولوجيا ينبغي أن تكون ذات طبيعة تكاملية. وبالتالي فإن القول بأن علاقة الأخلاق المعاصرة بالتطور العلمي التقنيانفصالية فيها تضييق لدائرة الأخلاق وتوسيع لمجال سيطرة العقل التقني الذي يفضي إلى نتائج وخيمة، فعلى العلم المعاصرأن يتقيدبالأخلاقياتويراعيها، وذلك لا يضيق أو يحد من تطوره كما يتوهم البعض، بل يرشده فحسب. وما يمكن أن ننتهي إليه هو أنه حقيقة وقع تحول في المجال الأخلاقي حيث أنه في القديم كنانتحدث عن أخلاق، وأما راهنا فقد أصبحنا نتكلم باسم الأخلاقيات، فلكل علم أخلاقياته التي تسعى في الأخير لكي تنظمه من الداخل، ومعنى هذا أننا أصبحنا أمام تكوثر أخلاقي.

قائمة المراجع بالعربية:

1- أحمد شكري فايزة أنور: **القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2002 .

2- أحمد صبحي محمود وزيدان فهمي محمود: **في فلسفة الطّب**، دط، دار النهضة العربية، لبنان، 1993

3- الداوي عبد الرّزاق: **حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة**، الدار البيضاء، شرطة توزيع المدارس، 2004

4- العوا عادل. **القيمة الأخلاقية**، الشركة العربية للصّحافة، دمشق،1965.

5- الهويدي يحي: **مقدمة في الفلسفة العامّة**، ط5، دار النهضة، القاهرة، 1968.

6- بدوي عبد الرحمن: **الأخلاق النّظرية**، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976.

7- روس جاكلين: **الفكر الأخلاقي المعاصر**، ترجمة: عادل العوا، ط1، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2001

8-شنيدرس فرانز: **الفلسفة الألمانية في القرن العشرين**، ترجمة: محسن الدمرد، ط1، المجلس الأعلى، القاهرة ،2005.

9- عبد الجابري محمّد: **قضايا في الفكر المعاصر**، ط1، حزيران، بيروت ، 1997.

10- عبده مصطفى: **مدخل إلى فلسفة الجمال**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

11- فتحي محمد: **نسخة منك دون أن تدري**، ط1، دار اللطائف للطباعة والنشر، القاهرة،2003.

12-نصار عبد الستار: **دراسات في فلسفة الأخلاق**، ط1، جامعة الكويت، دار القلم، 1982م.

13- وود ألان و برتراند راسل: **دراسة في تطوّر فلسفته**، ترجمة : سمير عبده، ط1، دار علاء الدين، دمشق،1994.

قائمة المراجع بالفرنسية:

1- **A quoi sert donc la philosophie**, (Presse : Lecour Dominique Universitaire de France, 1993), p 70.

قائمة المجلات:

1- الهواري محمد: مقال منشور تحت عنوان **الأخلاق الحياتية**، جويلية 1998، في شبكة الانترنيت تحت تشفير www.alraid.de

2- مهيبل عمر: **الخطاب الجديد في فرنسا**، مجلة سداسية تصدر عن معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، العدد 6، 1996.